الجولان

دراسة في الجغرافيا الإقليمية

الجولان
دراسة في الجغرافيا الإقليمية

أديب سليمان باغ

ترجمة

يوسف خوري - عبد الرحمن حميدة

محمد حرب فرزات - محمود رمزي

مراجعة

محمد حرب فرزات

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

الفهرسة في أثناء النشر – إعداد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

باغ، أديب سليمان

الجولان: دراسة في الجغرافيا الإقليمية/ أديب سليمان باغ؛ ترجمة يوسف خوري، عبد الرحمن حميدة، محمد حرب فرزات، محمود رمزي؛ مراجعة محمد حرب فرزات. – ط. 2 مزيدة.

496 صفحة: إيضاحيات؛ 24 سم.

يشتمل على فهرس عام.

ISBN 978-614-445-758-0

1. هضبة الجولان – وصف ورحلات. 2. هضبة الجولان – تاريخ. 3. الجولان (سوريا) – وصف ورحلات. 4. الجولان (سوريا) – تاريخ. 5. الجولان (سوريا) – جغرافيا. 6. الجولان (سوريا) – الجغرافيا الطبيعية. أ. خوري، يوسف (مترجم). ب. حميدة، عبد الرحمن (مترجم). ج. فرزات، محمد حرب (مترجم). د. رمزي، محمود (مترجم). هـ. العنوان.

915.691

عنوان الأطروحة بالفرنسية

La région de Djolan: Étude de géographie régionale

par Adib Souleiman Bagh

Université de Paris-Sorbonne, 1958

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن
اتجاهات يتبناها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

الناشر

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

شارع الطرفة – منطقة 70
وادي البنات – ص. ب: 10277 – الظعاين، قطر
هاتف: 40356888 00974

جادة الجنرال فؤاد شهاب شارع سليم تقلا بناية الصيفي 174
ص. ب: 4965 11 رياض الصلح بيروت 2180 1107 لبنان
هاتف: 8 991837 1 00961 فاكس: 1991839 00961
البريد الإلكتروني: beirutoffice@dohainstitute.org
الموقع الإلكتروني: www.dohainstitute.org

© حقوق الطبع والنشر محفوظة للمركز

الطبعة الثانية، مزيدة: بيروت، آب/ أغسطس 2026

صدرت الطبعة العربية الأولى من هذا الكتاب عام 1983 عن اتحاد الكتاب العرب في سورية

الإهداء

إلى ذكرى ضباطنا الشجعان، وصفٍّ الضباط والجنود الذين سقطوا شهداء على جبهة الجولان من أجل الدفاع عن الوطن.

إلى ذكرى والدي الذي لاقى وجه ربه قبل مثول هذا الكتاب للطبع، والذي يرقد جثمانه الطاهر في قرية تل عكاشة، وهو واحد من أشهر تلال أرض الجولان.

إلى ولديّ عرفان وصفوان اللذين ولدا في دمشق، بعيدَين عن الجولان، مسقط رأسي، لكي يخلد عندهما نفس ما أكنّ له من حب.

أهدي هذا الكتاب.

أديب باغ
باريس 1958

المحتويات

لمحة عن حياة المؤلف أديب سليمان باغ 9

مقدمة الطبعة الثانية ..... محمد حرب فرزات 11

مقدمة 21

القسم الأول
الجولان في الإطار الطبيعي

الفصل الأول: تعريف: الاسم، الحدود، الموقع، الأصالة، المساحة 25

الفصل الثاني: جيولوجية الجولان 35

الفصل الثالث: تضريس الأرض 51

الفصل الرابع: مناخ الجولان 105

الفصل الخامس: هيدرولوجية الجولان 161

الفصل السادس: جغرافية الجولان الحيوية 209

القسم الثاني
جغرافية الجولان البشرية

الفصل السابع: الجولان في التاريخ: تحقيق الهوية التاريخية 241

الفصل الثامن: الجغرافيا الإثنولوجية في الجولان 253

الفصل التاسع: جغرافية الجولان الدينية 271
الفصل العاشر: دراسة ديموغرافية لسكان الجولان 287

القسم الثالث
أشكال الفعاليات الريفية في الجولان

الفصل الحادي عشر: الزمر الاقتصادية والاجتماعية التقليدية 313
الفصل الثاني عشر: الزراعة والإنتاج الزراعي في الجولان 327
الفصل الثالث عشر: تربية الحيوانات 389
الفصل الرابع عشر: الفقر الريفي في الجولان 409
الفصل الخامس عشر: مشاهد طبيعية وأشكال السكن الريفي 417
الخرائط الجيولوجية والطبيعية للإقليم 437
فهرس عام 477

لمحة عن حياة المؤلف

أديب سليمان باغ

• ولد في عام 1928 في قرية الجزيرة بمحافظة القنيطرة–الجولان.

• بعد أن دخل المدرسة الابتدائية عام 1936 في قريته، أتّم تعليمه الابتدائي بحصوله على الشهادة الابتدائية في حمص [عام] 1941 بدرجة جيدة.

• تابع الدراسة في دمشق، ونال الدراسة الثانوية (البكالوريا) عام 1947.

• نال شهادة الإجازة في الآداب (الليسانس)، متخصصًا بالجغرافيا عام 1951، ودبلوم في التربية.

• عمل مدرّسًا للجغرافيا في المدارس الثانوية في الفترة 1951–1954.

• في 11 تشرين الأول/ أكتوبر 1954، أُوفد إلى باريس لتحضير شهادة الجغرافيا العامة، والحصول على شهادة الدكتوراه في الآداب.

• في 15 تشرين الثاني/ نوفمبر 1958، تقدَّم بأطروحته عن إقليم الجولان إلى اللجنة الفاحصة في جامعة باريس (السوربون)، وحاز لقب دكتور دولة في الآداب.

• في 16 كانون الأول/ ديسمبر 1958، صدر القرار رقم 80 بتعيينه مدرّسًا في كلية الآداب. أما إنتاجه العلمي، فغزير ومتنوع رغم حياته العلمية القصيرة:

فقد أعّد بالفرنسية مؤلفَين: **الصناعة في سورية بين 1928–1958** و**إقليم الجولان، دراسة في الجغرافيا الإقليمية** (وهو هذا الكتاب الذي قمنا بترجمته).

وترجم إلى العربية كتاب **المدخل إلى علم الجيولوجيا**، تأليف شارل كومبالوزية (تُرجم بالاشتراك مع د. يوسف خوري)، وكان هذا الكتاب خاتمة إنتاجه العلمي.

وألّف باللغة العربية الكتب الأحد عشر التالية: **جغرافية أمريكا؛ البيئات؛ الحيوية والترب؛ جغرافية أوستراليا؛ جغرافية آسية؛ الجغرافية البشرية للبلاد العربية** (بالاشتراك مع الدكتور صلاح الدين عمر باشا)؛ **اقتصادية البلاد العربية** (بالاشتراك مع الدكتور صلاح الدين عمر باشا)؛ **الجغرافية البشرية والاجتماعية** (بالاشتراك مع الدكتور صلاح الدين عمر باشا)؛ **المدخل إلى الجغرافية الطبيعية** (بالاشتراك مع الدكتور صلاح الدين عمر باشا والأستاذ عمر الحكيم)؛ **المدخل لدراسة الجغرافية البشرية** (بالاشتراك مع الدكتور صلاح الدين عمر باشا)؛ **جغرافية بلاد الشام للصف الثاني من دور المعلمين** (بالاشتراك مع الأستاذ بسام كرد علي والأستاذ داوود صليبا).

وقد استمر الفقيد مثابرًا على نشاطه الخصب في التأليف والتدريس في جامعتَي دمشق وعمّان، إلى أن توفاه الله صبيحة يوم السبت الواقع فيه 21 آذار/ مارس 1964، بعد مرض لم يمهله إلا أسبوعًا واحدًا، مخلفًا أسرته وأبناءه الأربعة، وتلاميذه الكثر، وزملاءه وأصدقاءه الذين فاجأهم نعيه الخاطف.

والآن، بعد مضي عشرين عامًا من فقده، تترجم هموم أديب باغ وأفكاره عن الجولان، مسقط رأسه، لكي تنتقل بلسان عربي إلى أبناء هذا القطر العربي السوري وأجياله الصاعدة، ليعرفوا بصدق ما ينبغي أن يُعرف عن هذه البقعة الغالية من أرض الوطن الحبيب.

مقدمة الطبعة الثانية

محمد حرب فرزات

كتاب **الجولان: دراسة في الجغرافيا الإقليمية** لمؤلفه الأستاذ الدكتور الراحل أديب سليمان باغ (1928–1964)، وثيقة جغرافية–تاريخية توثّق بتوصيف علمي أرضًا سورية عربية، هي في موقع القلب من بلاد الشام شمالي شبه جزيرة العرب. والكتاب إنجاز علمي وثمرة خبرة شخصية للمؤلف ابن الجولان، ومحصلة بحث علمي منهجي استغرق سنوات (1954–1958) في البحث والتأليف. وقد مُنح مؤلفه درجة دكتوراه دولة في الآداب وتخصص في الجغرافيا (1958) بتقدير عالٍ من جامعة باريس، السوربون في فرنسا.

يمثل هذا الكتاب إسهامًا مهمًا في ميدان البحث لتغطية التوصيف الجغرافي لأرضٍ سوريةٍ شديدة الأهمية، بعد الدراسات الهامة الأخرى التي أنجزها الروّاد مؤسسو قسم الجغرافيا في الجامعة السورية، جامعة دمشق (1947)، وهم أساتذة أديب باغ في دراسته الجامعية الأولى، كانوا أتموا دراساتهم وتخصصهم العلمي في جامعات فرنسا وعادوا إلى سورية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وهُم الدكاترة: نظيم الموصلي وعزت النص وصلاح الدين عمر باشا، وأنوار النعمان ويوسف خوري في الجيولوجيا، والأستاذ عمر الحكيم في الطبوغرافيا والخرائط، إضافة إلى أساتذة آخرين، منهم الأستاذ داود صليبا في الجغرافيا العامة وواصل القتابي في المُناخ.

تكمن أهمية الدراسة التي أنجزها الدكتور باغ، في كونها دراسة غير مسبوقة بمستواها الأكاديمي، وبهذه الدرجة من الاتساع والشمول في عمل موضوعي مستقل

ومتكامل، كما أكد أستاذه في السوربون جان دريش (Jean Dresch) في مقدمته للطبعة الفرنسية.

ولم يكن في الإمكان التوصل إلى هذه الدرجة من الإحاطة باتساع البحث وشموله وغنى المعلومات وأصالتها في الكتاب المرجعي، لولا تمكُّن الباحث المؤلف من امتلاك المؤهل العلمي الأساسي بمتطلباته وغاياته، ولولا تحصيله خبرة منهجية ومعرفية كبيرة مسبقة في الحياة والعمل، وفي البحث الجغرافي على الأرض، والتدريس والمتابعة والمشاركة في التأليف العلمي مع عدد من أساتذته، وفي ترجمة المراجع العلمية الأكاديمية من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية، ولا سيما مع الدكاترة صلاح الدين عمر باشا ويوسف خوري وعزت النص ويوسف خوري.

ويبقى هذا الكتاب، **الجولان: دراسة في الجغرافيا الإقليمية** إلى الزمن الراهن وثيقة علمية جغرافية-تاريخية عن إقليم الجولان في الجمهورية العربية السورية، وشاهدًا على هوية أرضه العربية السورية الشامية بتكوينه الجيولوجي الجغرافي الطبيعي، وعلى هوية مجتمعات الجولان السورية التي تكون جزءًا من النسيج الاجتماعي للشعب السوري عبر مراحل التاريخ وعصور حضاراته المتوالية منذ آلاف السنين. وهو يتحدث عن أرض الجولان، قلب بلاد الشام بين شمالها وجنوبها وساحلها وداخلها، بصدق وبيان، وعن سكان الجولان بين سكان سورية وأصولهم الإثنولوجية المتعددة والمركّبة وأنسابهم وقبائلهم العربية وفعالياتهم الاقتصادية المميزة في الرعي وتربية المواشي، وفي الزراعة والتجارة والمواصلات، والغذاء والصناعات المحلية التقليدية، والعمران وتنظيم البيئة، وتوظيف ثروات الأرض بمياهها وحجارتها البازلتية وتربتها ومروجها، وفي شق طرق المواصلات للتواصل مع سائر جسم بلاد الشام ومحيطها العربي المشرقي الممتد من البحر الأبيض المتوسط إلى وادي الرافدين وبلدان خليج العرب.

ثم إن الكتاب يمثّل في الظرف التاريخي الراهن تقريرًا علميًا شاهدًا على توصيف أرض الجولان وأحوال مجتمعاتها السورية الشامية في القرن العشرين، حتى عام 1967 وعام 1973، حين فرضت نتائج الصراع على الأرض بين سورية وسلطة دولة إسرائيل، التي أقيمت في فلسطين تطبيقًا لوعد بلفور بعد إنهاء نظام الانتداب البريطاني وانسحاب القوات البريطانية في عام 1948، تغييرًا استراتيجيًا خطِرًا، ورُسمت خطوط

هدنة عسكرية كان آخرها في عام 1974 خطوط هدنة مهدّدة دائمًا بالاختراق والتجاوز العدواني. ففي 10 حزيران/ يونيو 1967، وضعت دولة الاحتلال الصهيوني يدها على معظم أرض الجولان، وأقامت مواقع عسكرية، وبنت مراكز استطلاع استشرافية للمراقبة على مرتفعات من جبل حرمون/ جبل الشيخ بما يمكّنها من كشف المشهد الطبوغرافي حتى مسافات بعيدة تصل إلى محيط العاصمة دمشق، التي ما عادت تبعد عن خط الهدنة العسكري الفاصل أكثر من 25 ميلًا من شمال مدينة القنيطرة، مركز الجولان الإداري. وبذلك تجاوز موقع خط الهدنة العسكري لعام 1974 خط الحدود الدولية لعام 1923 بين الجمهورية السورية وحكومة فلسطين تحت الانتداب البريطاني بما يزيد على 15 ميلًا داخل أراضي الجولان السورية.

بهذه السيطرة العسكرية على أرض الجولان ومحيطها الطوبوغرافي، استطاع المشروع الاستيطاني الصهيوني لكيان الاحتلال الإسرائيلي التوسعي، الذي حل محل سلطة الانتداب البريطاني في فلسطين، أن يبسط هيمنته على مصادر مياه حوض نهر الأردن في أراضي سورية ولبنان، وعلى شواطئ بحيرة طبريا في الجليل، وهي البحيرة التي تمثّل خزان مياه فلسطين الاستراتيجي الرئيسي، مثلما كانت من قبل تمثّل خزانًا طبيعيًا لمياه المنطقة الوسطى الحيوية بين أقاليم بلاد الشام سورية ولبنان وفلسطين، حيث إن طولها 13 ميلًا من الشمال إلى الجنوب وسبعة أميال عرضًا من الشرق إلى الغرب[1]. وهي تتغذى بمياه نهر الأردن الذي تجتمع مياهه في مجراه من مصادر المياه الواردة من ينابيع جبل الشيخ/ حرمون في سورية ولبنان، أي ينابيع بانياس والدان والحاصباني والوزاني، ومن ينابيع مياه نهر اليرموك في الأراضي السورية جنوب حوضة دمشق من مزيريب في حوران. وإننا نلاحظ أن السلطات المحتلة الاستعمارية الاستيطانية في فلسطين والجولان ولبنان تعمل في مرحلة الصراع الراهن على بسط سيطرتها العسكرية المطلقة على مربع يشمل هذه المساحة الاستراتيجية وسط أراضي سورية وبلاد الشام. وهو وضع يفرض تغييرًا استراتيجيًا خطِرًا في وسط سورية يمكن أن يتحكم في أمنها وفي مستقبل تطورها الاقتصادي والاجتماعي-السكاني إلى أجَلٍ طويل؛ هذا ما تعلّمه الجغرافيا ودراسة الخرائط المعبّرة عنها.

(1) *National Geographic Journal*, vol. 197, no. 6 (June 2000), pp. 103-107.

كان من نتائج كارثة احتلال الجولان نزوح أعداد كبيرة من السكان، مخلّفين وراءهم قراهم ومساكنهم ومصادر رزقهم وآثار وطنهم وممتلكاتهم، التي وقعت تحت وطأة القصف والتدمير والإهمال. وأُبقي على عدد قليل من القرى في شمال الجولان وعلى سفوح جبل الشيخ التي صمد فيها سكانها الذين نزحوا تحت عبء الاحتلال بإدارته العسكرية الأمنية الجائرة، وهي قرى مجدل شمس ومسعدة وعين قنية وبانياس وشبعا على حدود لبنان، بينما أقيمت مستعمرات استيطانية للمستوطنين اليهود الذين جُلبوا للحلول محل المواطنين السوريين على أنقاض القرى المتروكة أو إلى جانبها. ونشرت سلطات الاحتلال ما يوحي بخلو الجولان من السكان، وبتصوير منطقة الجولان المحتل بكونها مجرد هضبة ومواقع عسكرية، في حين أن السلطات المحتلة كانت تحوّل الجولان المحتل إلى أرض مستعمرة، إذ نفذت فيها مشاريع للاستعمار والاستغلال والاستثمار سياحيًا واقتصاديًا، للتغطية على التهديد العسكري والسياسة العدوانية في المنطقة، ولتثبيت الأمر الواقع الاحتلالي الاستيطاني، مع تجاهل جميع قرارات القانون الدولي، فأنشأت عددًا من المستعمرات الاستيطانية، ونقلت إليها السكان اليهود والمهاجرين القادمين ليحلّوا محل عشرات الألوف من النازحين السوريين الذين خرجوا من ديارهم مكرَهين. ووضعت دولة الاحتلال الصهيوني أيديها على مياه البلاد وثرواتها ومواردها ومواشيها وفصائل خيولها العربية الأصيلة المعروفة الأنساب، وأبقارها السورية بأصولها الموروثة من أجيال عديدة. وأقامت على الأرض السورية المحتلة وعلى أنقاض البلدات السورية التاريخية بانياس وقلعة الصبيبة وفيق الزورية والحمّة، المعروفة بحماماتها الساخنة المعدنية، منشآت استعمارية استغلالية ومشاريع لإنتاج الفواكه والكروم وصناعة الخمور.

الأهمية الاستراتيجية لأرض الجولان

إن احتلال أرض الجولان وكسر الجبهة السورية على أرض فلسطين وحوض نهر الأردن وبحيرة طبريا هما في الواقع كارثة استراتيجية فادحة للجمهورية العربية السورية، تزيد كارثة فلسطين ونكبة الشعب الفلسطيني في أرضه ووطنه وبيته ثقلًا، وتوحد قضية الأرض المحتلة ومصير السلام في نهاية المطاف. وهي كارثة تضع الجانب السوري والعربي أمام تحد كبير، وتزيد في الواقع الراهن مسألةَ الحرب والسلم حرجًا وتعقيدًا. إن الصراع القائم بات مكشوفًا على حقيقته العدوانية

التوسعية وعلى مقاصده الاستراتيجية البعيدة الأهداف، ليس في فلسطين فحسب، بل في سورية ولبنان وبلاد عربية أخرى أيضًا.

وبهذا الاحتلال العدواني على الأرض السورية، انقلب الوضع الاستراتيجي في المواجهة على الأرض السورية–الفلسطينية؛ فقد وضع الاحتلال الصهيوني الاستيطاني الجائر يده على مواقع مرتفعة شديدة الأهمية من جبل الشيخ/ حرمون، وهو جبل الذي يحمل اسم سورية ولبنان منذ فجر التاريخ، وقد ورد في كتابنا **نظام حضاري في التاريخ المشرقي القديم**[2] أن الكتابة المسمارية لاسمي سورية ولبنان هي ساريا ولبانان في البابلية (sa-ri-a u La-ab na-an)، وهذان الاسمان وردا في اللوحة الخامسة من ملحمة جلجامش[3].

ومن قمم جبل حرمون–جبل الشيخ الأشم[4] انتقل اسم سوريا إلى سجل التاريخ/ أقام المحتلون الإسرائيليون في الموقع الاستراتيجي مراكز معدّة عسكريًا، لمراقبة مساحات واسعة من أراضي سورية إلى مسافة نحو 25 ميلًا، وذلك بعد أن كان خط الحدود الذي أقيم بين سورية وفلسطين على عهد الانتداب البريطاني محاذيًا لمجرى نهر الأردن ويلامس شاطئ بحيرة طبريا. وكان للسوريين الحق بالوصول إلى بحيرة طبريا وصيد الأسماك في مياهها، والوصول إلى حمامات الحمّة الشهيرة، التي زرتها، مرة أخيرة، عام 1965، مع عدد من الأصدقاء.

وقد سبق لي في عام 1949 أن زرت موقع قرية بانياس، وتمتعت بمشاهدة مياه نهر بانياس، وكنت برفقة وفد من جمعية الهلال الأحمر السوري، لتقديم هدايا عيد الأضحى إلى الجنود السوريين على الجبهة. وكنت بمرافقة والدي الصحافي صبحي فرزات، بصحبة إدارة الهلال الأحمر. وكان ضمن الوفد الطبيب والسياسي سامي كبارة، والطبيب مصطفى شوقي، وعدد من سيدات المجتمع أذكر منهن السيدة ليلى العابد، ابنة الرئيس السابق محمد علي العابد، والسيدة قمر قزعون شورى، حرم الطبيب الجراح منير شورى، والسيدة حرم الرئيس فارس الخوري.

---

(2) محمد حرب فرزات، **نظام حضاري في المشرق القديم** (الدوحة: وزارة الثقافة، 2010)، ص 278.

(3) R. Labat, *Les Religions du Proche-Orient Asiatique* (Paris: 1970), tab. v.o., p. 180.

(4) يُراجع حرمون وجبل الشيخ والجولان، في: **المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري**، 5 مج (دمشق: الجمعية الجغرافية، 1990–1992).

نُشر عن هذه الزيارة، التي نُظمت في زمن حكم الرئيس العسكري الانقلابي حسني الزعيم، استطلاع واسع في جريدة **النصر** الدمشقية، مرفقًا بصورة للزائرين. وكانت المشاهد من مشارف الجولان تبدو أمامنا مهيبة، تكشف للناظر مساحات ممتدة من أراضي فلسطين التي وقعت بأيدي الاحتلال الاستيطاني الغاصب منذ 1948–1949 في جولات الصراع الأولى، إلى أن احتُلت في عام 1967.

لقد فرض تطبيق نظام الانتداب على الأراضي السورية وسائر بلاد الشام، بموجب قرارات مؤتمر سان ريمو 1920 بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، وتقاسم السلطة الانتدابية الدولية بين الدولتين المنتصرتين في الحرب بريطانيا وفرنسا، تقسيمَ بلاد الشام إلى سوريا وفلسطين، بعد أن كانتا تابعتين لإدارة ولايتي الشام وبيروت في النظامين الإداريين السابقين العثماني والعربي. وجرى رسم خط للحدود بالتفاهم بين السلطتين القائمتين على الانتداب بالتفاهم بينهما فحسب، إلى أن استقرت المفاوضات على رسم حدود بين سورية وفلسطين في عام 1923 بين حكومة الانتداب، التي كانت تعتبر نفسها ملزَمة بتطبيق مضمون وعد بلفور البريطاني لعام 1917، بتنفيذ المشروع الاستعماري الاستيطاني للحركة الصهيونية في فلسطين، التي كانت جزءًا إداريًا من سوريا ولبنان في عهد الحكم العثماني.

وبناءً على ذلك، فإن ترسيم الحدود كان بمقتضى السياسات المرسومة المتفَق عليها بين دولتَي الانتداب، وبما يخدم مصالح كل منهما الاستراتيجية والسياسية. وهكذا تراوح وضع الحدود المرسومة، وجرى تحديدها بخطوط هادفة إلى السيطرة على موارد المياه بالدرجة الأولى، والسيطرة على سواحل بحيرة طبريا.

وقد استطاع الجيش السوري، الناشئ آنذاك بعد الاستقلال وإعلان الجمهورية السورية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، الحفاظ على أراضي الجولان بنهاية الحرب 1949، وفق اتفاقية الهدنة الأولى، وتقدمت قواته في الأراضي الفلسطينية عبر مجرى نهر الأردن إلى أراض في حوض الحولة والبطيحة وبانياس، وعند شواطئ بحرية طبريا ما بين الحمّة وسمخ، التي ظلت منطقة مناوشات فترة من الزمن، وعُدَّت مناطق منزوعة السلاح، إلى أن تغيّر خط الهدنة بعد عدوان 1967 ثم بعد حرب 1973، في عام 1974. ورُسم خط هدنة عسكرية فاصل آخر، وبقي معتمَدًا بمراقبة من الأمم المتحدة. إلا أن هذا الخط تجاوزته سلطة الاحتلال الإسرائيلية في ظروف

التغيير السياسي في سورية، بعد 8 كانون الأول/ ديسمبر 2024، وبتغيّر الواقع القائم في الجولان في ظل القانون الدولي والأمم المتحدة المعطّل، تفقد سوريا خطًا دفاعيًا عن حدودها الجنوبية يرتفع إلى ما يزيد على 1000 متر ويمتد أربعة أميال، وهو وضع يفرض تهديدًا مقلقًا للأمن الوطني يعوق أي سلام محتمل.

إن سورية اليوم تواجه التاريخ في سعيها لإعادة بناء دولتها في ظرف من أشد الظروف خطورة في تاريخها الطويل. ووضع أرض الجولان على الحدود الجنوبية شاهد صارخ على التصرف الجائر بحدود سورية الجغرافية. وهو وضع يقتضي نشر المعرفة الجغرافية والتاريخية، وتوعية الأجيال الحاضرة والقادمة بتاريخ البلاد وجغرافيتها وبمصيرها المستقبلي.

لقد كان الدكتور أديب سليمان باغ باحثًا رائدًا في دراسة جغرافية الجولان، وفي تقديم محصلة بحوثه العلمية في كتاب **الجولان: دراسة في الجغرافية الإقليمية**، الذي شاركت في تعريبه ونشره في عام 1983، إلى جانب كلٍّ من الدكاترة يوسف خوري وعبد الرحمن حميدة ومحمود رمزي، من أساتذة قسم الجغرافيا بجامعة دمشق.

وأُشير إلى أن الدكتور باغ كان زميلًا لي في الدراسة الإعدادية في مدرسة التجهيز بدمشق، مدرسة جودت الهاشمي. وقد سبقني إلى التخرج في الدراسة الثانوية، وجرى إيفاده للتخصص بين عدد محدود من المتخرجين الأولين من قسم الجغرافيا في الجامعة السورية بدمشق، وهو القسم الذي أنشأه الأساتذة المؤسسون الرواد الذين عادوا من أوروبا، مؤهَّلين بتخصصاتهم العليا الرفيعة التي جعلت منهم رجالًا من النخبة الثقافية التي قادت مرحلة التأسيس في التعليم والمعارف، وفي ميدان الثقافة، وذلك برعاية اتحاد الكتاب العرب ووزارة الثقافة. وقد قمت بترجمة المادة التاريخية من الكتاب، بالتنسيق مع الزملاء الأساتذة المترجمين. وكان الدكتور يوسف خوري من الأساتذة المرموقين في جامعة دمشق، حيث قام بتأسيس قسم الجيولوجيا، وكان أستاذًا معروفًا على الصعيد الأكاديمي، ومناقشًا لرسائل البحوث وأطروحات الدكتوراه في الجيولوجيا في جامعات فرنسية وعربية. أما الدكتور عبد الرحمن حميدة، فكان من أوائل المتخصصين في الجغرافيا، إلى جانب الدكتور باغ، وله إنتاج علمي وموسوعي غزير، ومنه مقالته في الموسوعة البريطانية عن جغرافية سوريا وفلسطين، وتعريبه أعمالًا مهمة للجغرافي الروسي كراتشكوفسكي،

وتعريب مغامرة الرحالة الحسن الوزان الشهير باسم ليون الأفريقي. أما الدكتور محمود رمزي، فهو من خريجي الدفعة الأولى من قسم الجغرافيا، وكان من المدرسين المرموقين في التعليم الثانوي قبل أن يُنقل إلى قسم الجغرافيا في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة دمشق، للمحاضرة والإسهام في سد الحاجة إلى التدريس بعد رحيل الدكتور باغ. وقد قام ببذل جهود كبيرة في التدريس والتأليف الجامعي، وأعد في الوقت نفسه أطروحة للدكتوراه بعد إيفاده لاستكمال التخصص في فرنسا. وعاد ليستأنف عمله في جامعة دمشق، ثم العمل في جامعة قطر في سنوات تأسيسها، وعاد مع زملائه ليسهم في ما بعد مع زملائه في الجمعية الجغرافية السورية بدمشق، التي جمعت عددًا من الجغرافيين السوريين الذين تابعوا رسالة قسم الجغرافيا في الجامعة وفي وزارة التربية والتعليم، وأصدروا **المجلة الجغرافية** التي سدت فراغًا في مجال البحث العلمي، وحظيت بسمعة علمية عالية. ومن مؤسسي الجمعية الأستاذ مصطفى الحاج إبراهيم والدكتور عبد الرحمن حميدة والدكتور عادل عبد السلام والدكتور ساطع محلي والأستاذ إلياس بطحيش والأستاذ عصام ميداني والأستاذ عادل عويتي، ونديم شمسين. وكنت من أعضاء الجمعية الجغرافية ومن المشاركين في المحاضرة والكتابة والنشر فيها. وقد شاركت الجمعية الجغرافية في إعداد المعجم الجغرافي للقطر السوري ونشره في أربعة أجزاء، وهو عمل ضخم يُعَد مرجعًا علميًا للتعريف بجغرافية الجمهورية العربية السورية، وفيه تعريف موسع بمحافظة الجولان–القنيطرة.

لقد ضم قسم الجغرافيا في جامعة دمشق نخبة علمية أسهمت في ميادين الحياة الثقافية في سورية بعد الجلاء. وكان في مقدمتهم الدكتور نظيم الموصلي، الذي بدأ عمله في حلب مديرًا للمدرسة السلطانية التي أصبحت ثانوية المأمون بعدئذ. ثم عمل على تأسيس قسم الجغرافيا إلى جانب زملائه الآخرين الدكتور صلاح الدين عمر باشا، الذي كان يهتم بالجغرافيا الاقتصادية، والدكتور عزت النص، الذي اهتم بالجغرافيا البشرية ودراسة السكان وبالتعريف بتركيب سكان الجزيرة، والدكتور أنوار النعمان، الذي اهتم بالتعريف بجغرافية سورية وأرضها وطبيعة ترتبها، والأستاذ عمر الحكيم، أستاذ الطبوغرافيا والخرائط. وكان من هؤلاء الأساتذة الدكتور يوسف خوري، أستاذ الجيولوجيا في كلية العلوم. وهكذا كانت مقررات الجغرافيا تُدرَّس ما بين كليتَي الآداب والعلوم الإنسانية وكلية العلوم. وقد تخرج أديب باغ في الدفعة الأولى من خريجي القسم بتفوقٍ أهّله للإيفاد إلى جامعة السوربون في فرنسا، بهدف

التخصص، فاستطاع في سنوات قليلة إنجاز عمل كبير في دراسته لجغرافية الجولان الإقليمية. وهذه الدراسة الرائدة التي قُدِّر لها أن تكون الدراسة الرائدة في الجغرافيا الإقليمية السورية، وأن تكون النموذج الأول لدراسة جغرافية الجولان.

وإنه بوفاة الدكتور أديب باغ المفاجئة، بعد أن مرض فترة قصيرة، وهو بعدُ في سن الشباب، خسر قسم الجغرافيا في جامعة دمشق أستاذًا لامعًا كان مبشرًا بعطاء علمي غزير. وقُدّر لي حين وفاته أن أكون مدرسًا محاضرًا في قسم التاريخ بجامعة دمشق عام 1964، فشاركت مع عدد من أعضاء هيئة التدريس في حضور جنازته في طرابلس، ومن ثم نقله إلى مقره الأخير في قريته الجويزة في الجولان.

إن إعادة طبع كتاب الجولان بادرة مهمة في الظرف التاريخي الدولي الراهن للتعرف إلى أرض بلادنا ولتغذية الوعي الوطني[5].

وإنني لاغتنم هذه المناسبة لأدعو إلى تأسيس مركز للبحوث الجغرافية التاريخية، إلى جانب الجمعية الجغرافية التي هي جمعية ثقافية رائدة للجغرافيين السوريين الذين قدموا أعمالًا علمية جديرة بالتعريف والنشر، ومن أهمها **المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري** وأن يتوسع هذا العمل ليشمل جغرافية بلاد الشام كلها، لتجديد ما بدأه الأستاذ المجمعي الرئيس محمد كرد علي في كتابه الموسوعي **خطط الشام**.

ولا يفوتني أن أشكر جزيل الشكر المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات على مبادرته بإعادة طباعة هذا الكتاب، وتقديمه إلى المكتبة العربية عمومًا، والمكتبة العلمية السورية خصوصًا، تكريسًا لمرجعيته العلمية في دراسة الجولان السوري.

والله الموفق

الدوحة، شباط/ فبراير 2025

---

(5) من الأبحاث الجديدة للاستزادة، يراجع: أسماء راتب معروف شهوان، "الاستيطان الصهيوني في هضبة الجولان السورية (1967–2000)/ دراسة تاريخية تحليلية"، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2010.

[محمد حرب فرزات، كاتب المقدمة للطبعة الثانية، هو مؤرخ سوري، وأقدم مؤرخ مرجعي للحياة الحزبية السياسية في سورية بين عامي 1908 و1955. تخصص بعد ذلك بدراسة التاريخ الحضاري القديم، ودافع عن أطروحته في التاريخ القديم في جامعة السوربون في عام 1972، وتخصص منذ ذلك الوقت بتدريسه والبحث فيه وعمل فترة طويلة أستاذًا للتاريخ القديم في جامعتي دمشق والدوحة. وألّف العديد من المقالات العلمية كما أصدر ترجمات عدة في مجال اختصاصه. (الناشر)]

مقدمة

كرّس أديب باغ سنوات عديدة لدراسة منطقة الجولان التي هي مسقط رأسه وموطنه، ولذا جاء عمله في هذا الكتاب ثمرة خبرة شخصية؛ لأن المؤلف هو ابن المنطقة.

إن العمل الذي أنجزه حيٌّ وأخّاذ، اتبع فيه الطرق العلمية المرعية في دراسة الجغرافيا الإقليمية. وهو بعمله يسهم بدور مهم في ميدان البحث الجغرافي في سورية، وقد تناول فيه منطقة لم يسبق أن دُرست بهذه الدرجة من الاتساع والتخصص المستقل.

أما الأصالة في بحث أديب باغ، فتتجلى في النتائج التي توصل إليها من دراسة منطقة معقدة من الناحية الطبيعية، بفعل وقوعها بين جبل الشيخ الرطب وسهول حوران ذات المناخ شبه الجاف والأمطار القليلة. وهي معقدة أيضًا من الناحية البشرية، لاختلاف أصول السكان واختلاط عناصرهم، ولتنوُّع أسلوب معيشتهم عندما تلتقي الفلَاحة بالبداوة والرعي، لممارسة فعاليات اقتصادية تتناسب مع فئاتهم الاجتماعية ومع ظروف الاستقرار والترحال. ويلاحظ الباحث، وهو مصيب في ذلك، أن في الوقت الذي تستمر فيه المؤثرات الطبيعية في أداء دورها، تتقلص شيئًا فشيئًا تأثيرات الاختلافات العرقية والدينية التقليدية. لقد أعارت الدراسة أهمية أكبر للعوامل الاجتماعية: نظام الملكية واستثمار الأرض الذي يتحكم في طرق الإنتاج والمردود، وفي السوق ونظام العمل.

تتضمن هذه الدراسة مادة علمية غنية نتعلم منها. وهي ككل بحث جغرافي ليست عملًا وصفيًا أو شرحًا مخصصًا لإرضاء فئة مختصة ومحدودة العدد، بل إنها تقدم

نتائج واضحة محسوسة ومحددة تساعد على رسم الطريق، للعمل على تحسين شروط المعيشة عند السكان، وللمساعدة على إدماج المنطقة بشكل أكثر فعالية في اقتصاد البلاد. وفي سبيل تحقيق هذا الهدف، فإنني أتمنى أن يخرج هذا الكتاب من خزائن المكتبات المغبّرة ليعرف طريقه إلى المهتمين بمختلف شؤون الإقليم من جميع الوجوه.

ويأتي بحث أديب باغ الذي تقدّم، عام 1958، إلى جامعة باريس للحصول على درجة دكتوراه في الآداب، حلقة جديدة في سلسلة الأعمال الرائعة للجغرافيين السوريين الذين درسوا أقطار بلادهم وأقاليمها (مثلًا: النعمان، منطقة حمص، وحميدة، منطقة حلب). وإنني لآمل أن ينشر الباحثون أعمالهم بالتعاون في ما بينهم، وبمعونة المؤسسات السورية المسؤولة؛ فأمامهم مناطق ومسائل أخرى لدراستها وفق الطرق العلمية التي تتطور نحو الأفضل باستمرار.

إننا نعيش في عالم متغير بشكل متسارع، وفي إمكان الجغرافي أن يقوم بدور مهم في تحليل هذه المتغيرات؛ لأن له من الاهتمامات المتنوعة ما يسمح بأن يضع يده على الشروط المعقدة للحياة، وأن يفسرها. كما ينبغي أن يكون للكتّاب الجغرافيين كلمتهم في توجيه التطور؛ لأن الجغرافي، ككل باحث آخر، يعمل في خدمة الإنسان والوسط الطبيعي الذي يعيش فيه من دون أن يتخلى عن الاهتمام بالمستقبل.

ج. دريش
أستاذ في السوربون